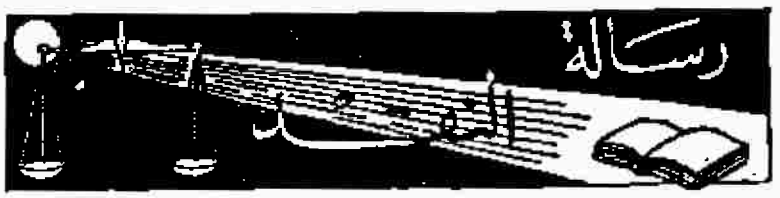

نظرات في كتاب الأشربة

للأســـتاذ السيد أحمد صقر

— ٦ —

يجمل بي قبل أن أستأنف كتابة الحلقة السادسة من هذا البحث أن أعرض بالنقد لما نقدت به في بريد الرسالة.

أما النقد الأول، فقد كتبه الأستاذ عدنان وجعل عنوانه «لفظة في بيت». قال: «في مقال للأستاذ السيد أحمد صقر حول كتاب «نظرات في كتاب الأشربة» للأستاذ كرد علي بك». وفي هذه الجملة خطأ طريف، فإني لا أنقد كتاباً اسمه «نظرات في كتاب الأشربة» للأستاذ كرد علي بك، وإنما أنقد كتاب «الأشربة» لابن قتيبة التي نشره الأستاذ كرد علي، ولكي يستطيع القارىء متابعة النقاش في يسر وسهولة أنقل ما قلته أولاً، وما عقب به الأستاذ عدنان ثانياً.

قلت (ع ٨٣١ ص ٩٦٣) «في ص ٣٧، ٣٨ من الأشربة» وقد شهر المتأخرون على الشراب بسوء العهد، وقلة الحفاظ، وأنهم صديقك ما استغنيت حتى تفتقر، وما عوفيت حتى تنكب، وما غلت دنانك حتى تنزف، وما رأوك بعيونهم حتى يفقدوك، قال الشاعر:

أرى كل قوم يحفظون حريمهم ... وليس لأصحاب النبيذ حريم
إذا جئتهم حيوك ألفاً ورحبوا ... وإن غبت عنهم ساعة قدميم
إخاؤهم مادامت الكأس بينهم ... وكلهم وت الوصال سؤوم
فهذا ثباتي لم أقل بجهالة ... ولكنني بالفاسقين عليم

والصواب «فهذا ثناتي» كما في العقد الفريد ٤/٣٢١ وليس للثبات هنا أي معنى يستقيم به نظم الكلام ويقوم عليه بناء معناه»

وقال الأستاذ عدنان في تعقيبه «بل للثبات هنا معنى يستقيم به نظم الكلام وهو إلى الصواب أقرب مما ورد بالنقد، وذلك لسببين: الأول أن الشاعر يقرر حالة هي إلى فتح القادح أقرب منها إلى «ثناء» القادح، وأي «ثناء» كذلك الذي يوجه إلى قوم لا يحفظون الحريم وينقلبون بين الجيئة والذهاب من حب إلى بغضاء ومن وفاء إلى عداء. والثاني أن الأستاذ الناقد فهم من «الثبات» أنه الدوام والاستمرار، ومن ثم كتب ما كتب معتمداً على رواية العقد وهي كما سبق رواية لا يزكيها واقع الحال. وإنما يقال في مقام التصحيح أن «الثبات» بمعنى الحجة والبرهان تقول: لا أحكم بكذا إلا بثبت أو بثبات أي بحجة وبرهان ودليل».

ليس في كلام الأستاذ عدنان ما يجعلني أعدل من رأيي في أن الثبات ليس لها هنا أي معنى يستقيم به نظم الكلام ويقوم عليه بناء معناه، وأما تفسيره له بمعنى الحجة والبرهان فتكلف وتعمل يتنزه عنه الذوق الشعري. وهل يقول شاعر «فهذا ثباتي»؟

وليس في كتب اللغة التي بين أيدينا (ثبات) بمعنى الحجة والبينة، وقد جاء في اللسان: «الثبت بالتحريك الحجة، وتقول أيضاً: لا أحكم إلا بثبت أي بحجة» ولست أدري من أين جاء الأستاذ «بثبات».

والذي حمل الأستاذ على أن يتكلف في تصحيح «الثبات» هذا التكلف البعيد أنه لم يفهم معنى «الثناء»، وعجب من أن أقول

المؤلفات التي يضمها الأدباء الأتراك.

٧ — ليس ثمة قانون يحمي حقوق المؤلف حسبما تقتضيه الظروف والأوضاع الجديدة (فالقطع التمثيلية التي تمثلها مختلف الفرق في طول البلاد وعرضها لا تأتي للمؤلف بمليم واحد، وقد يهمل أصحاب هذه الفرقة حتى سلوك مسلك الأدب واللباقة مع المؤلف، ومجاملته في الحصول على موافقته على تمثيل رواياته، بل وقد يجهل المؤلف نفسه جهلاً تاماً أن رواياته تمثل هنا وهناك من أنحاء البلاد).

٨ — لماذا يدفع الناشر أجراً للمؤلف ما دام هناك طريق ترجمة أرقى الآثار الأدبية العالمية — ولو ترجمة هزيلة — مفتوحاً أمامه بلا رقيب أو حسيب؟.. وما دام أن ليس ثمت أي تشريع يلزمه ولو بدفع مليم واحد لأصحابها الشرعيين ...

وقد أكد الروائي الشاب بعد ذلك أنه ما لم يعثر على علاج شاف لهذه الأدواء الثمانية، فإن ظهور الأديب التركي العالمي المرتقب سيتأخر كثيراً إن لم يكن أمراً عسير التحقق، بعيداً من التصور.

(العراق — أبريل)

السيد أحمد مصطفى

إن الصواب « فهذا ثنائى » فقال « وأى ثناء ذلك الذى يوجه إلى قوم لا يحفظون الحريم الخ » . ولو قد عرف الأستاذ حقيقة الثناء لما قال ذلك بل لما كتب من نقده حرفاً واحداً . إن الثناء ليس مدحاً فقط بل هو ذم أيضاً ، يستعمل فى الخير والشر على السواء ، وقد ورد فى شعر زهير :

سيأتى آل حصن أين كانوا ... من الثلاث ما فيها ثناء

وفُسر بالوجهين : فمن قال إن « ما » نافية قال : إن الثناء بمعنى المدح ، ومن قال إنها موصولة قال : إنه بمعنى الهجاء . جاء فى لسان العرب « الثناء ما انصف به الإنسان من مدح أو ذم وخص بعضهم به المدح . الثناء ممدود : تمدحك لتثنى على إنسان بحسن أو قبيح . أثنى يثنى إثناء أو ثناء يستعمل فى القبيح من الذكر فى المخلوقين وضده » .

وإذا كان الثناء يستعمل فى الذم فى أصل اللغة فليس هناك ما يدفع قول إن الصواب « فهذا ثنائى » على أنى وجدت للبيت رواية أخرى جيت إليها نفسى وهى كما فى نهاية الأرب ٤ / ١٠٨

فهذا بيانى لم أقل بجهالة ... ولكننى بالفاسقين عليم

يراع لا يراعوا :

أما النقد الثانى ، فقد كتبه الأستاذ « عمر إسماعيل منصور » وجعل عنوانه « يراعوا لا يراع » وأنا أورد ما قلته وما قاله على نحو ما فعلت فى سالفه .

قلت فى العدد ٨٣٣ وفى ص ٣٨ من الأشربة : وقال آخر :

بلوت النبيذيين فى كل بلدة ... فليس لأصحاب النبيذ حفاظ
إذا أخذوها ثم أفنرك بالذى ... وإن فقدوها فالوجوه فلاظ
مواعيدهم ربع لمن يعدونه ... بها قطعوا برد الشتاء وقالوا
بطان إذا ما الليل ألقى رواقه ... وقد أخذوها فالبطون كظاظ
يراع إذا ما كان يوم كريهة ... وأسد إذا أكل الثريد فظاظ

وعلق الأستاذ محمد كرد على هذه الكلمة بقوله فى ع : يراعوا.

والصواب « يراع إذا ما كان يوم كريهة » جاء فى لسان العرب « اليراع : القصب واحدته يراعة . والداعة ، واليراع : الجبان الذى لا عقل له ولا رأى ، مشتق من القصب أنشد ابن برى لكعب الأشقال :

ولا تك من أخدان كل يراعة ... هواء كسقب البان جوف مكاسره »

هذا ما قلته ولكن الأستاذ « عمر » لم يرقه قول واتهمنى بعدم الفهم وقلة الإدراك بل بعدمه أيضاً وإليك ما قال : «وأقول إن يراعوا هى الصواب ، وهى من الروع بمعنى الفزع ، قال قطرى ابن الفجاءة :

أقول لها وقد طارت شعاعا ... من الأبطال ويحك لن تراعى

ولو قرأ الأستاذ الفاضل هذه الأبيات لأدرك أن الكلام عن جماعة لا عن فرد ، وأن يراعا بمعنى جبان لا تصدق على الجماعة إذ تأتى للفرد فقط . قال فى الأساس « ومن المجاز قولهم للجبان الذى لا قلب له هو يراعة ويراع قال : فارس فى اللقاء غير يراع »

ولست أدرى كيف يكون « فاضلا » من ينقل أبياتاً لشاعر يقول فيها « بلوت النبيذيين ومواعيدهم ربع قطعوا بها برد الشتا وقالوا » ثم لا يدرك « أن الكلام عن جماعة لا عن فرد » كما يقول الناقد ونضرب صفحاً عن هذا اللغو ونأخذ فى مناقشة كلامه فإن ذلك أخلق بنا وأحجى .

يزعم الناقد المدرك أن الصواب « يراعوا » من الروع بمعنى الفزع ولو كان يعرف أن يراعوا فعل مضارع ، وأن كل مضارع اتصلت به واو الجماعة يرفع بثبوت النون وينصب ويجزم بحذفها لما قال إن الصواب « يراعوا » ولسائل نفسه : أين النون ؟ ولم ذهبت ؟ ويزعم الناقد صاحب المدارك الثاقبة « أن يراعا بمعنى جبان لا تصدق على الجماعة إذ تأتى للفرد فقط !! وهذا زعم لا حقيقة له لم يقله أحد من علماء العربية ، ولكن الناقد افتراه وأوهم القارىء أنه اعتمد فى نفيه على الأساس حيث يقول : (قال فى الأساس ومن المجاز قولهم للجبان الذى لا قلب له هو يراعة ويراع ». وأنا أنقل للقارىء نص كلام الزمخشرى فى الأساس ليعلم كيف دلس الناقد فى نقله وكيف فهم منه ما افتراه. قال الزمخشرى فى ص٥٦١ « ومن المجاز فى اليراع : فى القصب ، قال المسيب ابن علس:

ومها يرف كأنه إن ذقته ... عانيّة شُجّت بماء يراع

أراد قصب السكر . وتفتح الراء فى اليراعة ، وكتب الكاتب باليراعة ، قال :

أحنّ إلى ليلى وقد شطت النوى ... بليلى كما حن اليراع المثقّب

أى الزامير . وغشى اليراع الوجوه . وهو شبه البهوش . ومن المجاز قولهم للجبان الخ » .

وهذا النص صريح فى أن اليراع : هو القصب ، وأن اليراع المثقب المراد به الزامير ، وأن واحدة هذا كله يراعة .

ولست أدرى كيف قرأ الأستاذ هذا الكلام ولا كيف تلواه لئلا يناقض دعواه ، ولكن الذى أدريه أن الأستاذ لم يفهم كلامى

ولم يفطن إلى معنى النص الذى نقلته من اللسان ، وكان فيه الغناء لو تدبره . لقد قلت إن الصواب « يراع » ونقلت ما فى اللسان من أن اليراع : القصب واحدته يراعة ، واليراعة واليراع الجبان الذى لا عقل له ولا رأى ، مشتق من القصب » .

ولكن الناقد المدرك لم يفطن إلى أن هذا النص صريح فى أن اليراع اسم جنس . واسم الجنس هو ما يفرق بينه وبين واحده بالتاء ، جاء فى المخصص ١٦/١٠٠ « باب دخول التاء فرقاً بين الجمع والواحد منه ، وذلك نحو تمر وتمرة وبقر وبقرة وشعير وشعيرة وجراد وجرادة فالتاء إذا ألحقت فى هذا الباب دلت على المفرد وإذا حذفت دلت على الجنس والكثرة ، وإذا حذفت التاء ذكر الاسم وأنث ، وجاء التنزيل بالأمرين جميعاً ... »

واليراع واليراعة كالزُّباب والزُّبابة جاء فى اللسان : « الزُّباب : جنس الذُّر لا شعر عليه . قال الحارث بن حلزة :

وهُمُ زُبابٌ حائر لا تسمع الآذان رعدا

أى لا تسمع آذانهم صوت الرعد لأنهم صم طرش ، والعرب تضرب بها المثل فتقول أسرق من زبابة ، ويشبه بها الجاهل ، واحدته زبابة » .

على أن جو الأبيات يتطلب كلمة « يراع » ولو جاز أن يقع الفعل موقعها ؛ لأن الشاعر وصف النبيذين قبل ذلك بأنهم «بطان» ووصفهم بعد ذلك بأنهم « أسد » وسبيل يراع فى المجاز كسبيل « أسد » ومع ذلك فإننا إذا تحينا المجاز جانباً ولجأنا إلى الحقيقة وجدنا الجبان باسم « يراع ويراعة » كان الجمع فيهما « يراع ويرعات » . ورحم الله الشافعى إذ يقول : « فالواجب على العالمين ألا يقولوا إلا من حيث علموا ، وقد تكلم فى العلم من لو أمسك عن بعض ما تكلم فيه منه لكان الإمساك أولى به ، وأقرب إلى السلامة له » .

* * *

ونرجع إلى ما كنا فيه من بيان الأوهام فى كتاب « الأشربة » فنقول :

٤٥ — جاء فى ص ٣٤ : « قال عثمان رحمة الله عليه : ما تغنيت ولا تغنيت ، ولا شربت خمراً فى جاهلية ولا إسلام » .

وشرح الأستاذ كرد على معنى «ولا تغنيت بقوله : ولا تشبهت بالغنيان » ! وساء الرجولة أن يقول ذلك عثمان عن نفسه ؛ وساء الأدب أن يظن به ظان أنه يمكن أن يقوله ، وعمن يتشبه عثمان إذا لم يتشبه بالغنيان ؟ إن فى العبارة خطأ لم يفطن إليه الأستاذ ، وصوابه : « ما تغنيت ولا تمنيت » أى ولا كذبت جاء فى النهاية ١١٩/٤ « وفى حديث عثمان : ما تغنيت ولا تمنيت ، ولا شربت خمراً فى جاهلية ولا إسلام . وفى رواية : ما تمنيت منذ أسلمت ، أى ما كذبت . التمنى : التكذب ، تفعّل من منى يمنى إذا قدّر لأن الكاذب يقدر الحديث فى نفسه ثم يقوله . قال رجل لابن داب وهو يحدث : أهذا شىء رويته أم شىء تمنيته ؟ أى اختلقته ولا أصل له » .

وقد كان ابن داب هذا — واسمه عيسى بن يزيد — من أحسن الناس حديثاً وبياناً ، وكان شاعراً راوية وافر الأدب ، صاحب رسائل وخطب غير أنه كان يضع الأشعار ويزيد فى الأحاديث ما ليس منها . وناهيك برجل يسمه حماد الأعرابى بالكذب ويسمه بأنه آفة ، وفيه يقول ابن مناذر :

ومن يبع الوساة فإن عندى ... وساة للكهول وللشباب
خذوا عن مالك وعن ابن عون ... ولا تروا حديث ابن داب
ترى الهلاك ينتجعون منها ... ملاعى من أحاديث كذاب
إذا طلبت مناقعها اضمحلت ... كما يرفض وقراق السحاب

وقد توفى ابن داب فى سنة إحدى وسبعين ومائة فى أول خلافة الرشيد . وترجمته فى لسان الميزان ٤/٨ . ٤ وتاريخ بغداد ١٤٨/١١ والمعارف ٢٥٤ ومعجم الأدباء ١٥٢/١٦ .

(يتبع) السيد أحمد صقر

تفتيش مبانى الشرق بالزقازيق

يعلن عن مناقصة إنشاء نقطة بوليس المجانة بانشـــاص بجلسة ١٥/١٠/١٩٤٩ بديوان التفتيش بالزقازيق وثمن المستندات ٢٠٠ مليم ١ جنيه للأعمال الاعتيادية ١ جنيه لأعمال التجارة ٨٠٠ مليم للأعمال الصحية ٣٥٠ مليم للأعمال الكهربائية و ٥٠ مليم أجرة البريد وكل عطاء غير مصحوب بتأمين ٢٪ من قيمته يعتبر لاغياً ولا يلتفت إليه .

٢٨١٤